ملخص الفن الإسلامي في المشرق العربي منذ نشأته حتى القرن العاشر الميلادي في نماذج من الفنون الجدارية (فسيفساء وتصوير جداري)[1]

حلا الصابوني[2] **الأستاذ الدكتور علي السرميني[3]**

الملخص

كان ظهور الفن الإسلامي نتيجة لانتشار الفكر الإسلامي،ومع توسع الفتوحات الإسلامية تأثر المسلمون بفنون البلدان التي فتحوها، فاستفادوا من تلك الفنون وأخذوا منها ما ناسبهم ودمجوه في حلة واحدة مشكلين بذلك الفن الإسلامي الذي نعرفه. وقد دخل الفن الإسلامي في جميع نواحي الحياة.

وقد كان قوام الفن الإسلامي الأشكال الهندسية المتشابكة والمتداخلة فيما بينها والتي شكلت وحدة زخرفية رائعة وهي ما يعرف بالأرابيسك، كما استخدموا فن الفسيفساء الذي أسهم في تألق الفن الإسلامي.

[1] أعد البحث في سياق رسالة الدكتوراه للطالبة حلا الصابوني بإشراف الأستاذ الدكتور علي السرميني.

[2] قسم التصوير– كلية الفنون الجميلة – جامعة دمشق.

[3] أستاذ– قسم التصوير– كلية الفنون الجميلة – جامعة دمشق.

مقدمة:

جاء الإسلام يدعو الناس لعبادة الله الواحد، خالق السماوات والأرض، ومدبر كل شيء. ومن هذا المبدأ حطم الرسول عليه الصلاة والسلام جميع الأصنام والأوثان وكل ما كان يعبده المشركون آنذاك، وأبقى على الكعبة بعد أن طهرها من الأصنام والأوثان لأنها بيت الله تعالى، التي بناها إبراهيم عليه السلام.

لذلك حرم الإسلام التمثيل الفني، كالتصوير والنحت، لله وللأنبياء، وقد امتد هذا التحريم ليمنع تصوير الإنسان وكل ما هو حي وذلك خشية العودة إلى الوثنية.

ومال المسلمون آنذاك إلى التقشف والزهد، وتميزوا ببساطة المعيشة وبمساكنهم المتواضعة. ولذلك فإن الفن الإسلامي لم ينشأ لأسباب دينية كغيره من الفنون التي سبقته، وإنما ظهر نتيجة لانتشار الدين الإسلامي وازدهار الدولة الإسلامية وامتدادها على رقعة واسعة من الأرض، فبعد أن فتح المسلمون البلدان ورأوا ما فيها من آثار ونتاج فني جميل، وبسبب اعتداد العرب بأنفسهم وحرصهم على ألا يظهر المسلمون فقراء في عمائرهم ومظهرهم البسيط، وهم سادة البلاد وحكامها. وكان ظهوره كشكل تزييني زين المساجد بزخارف مجردة تتكرر وتستمر بصورة لا متناهية معبرة بذلك عن الفكر الإسلامي وعن الكون اللا متناهي وعبرت عن" الله" وعن فكرة المطلق الذي لا حده شيء.

كان الفن الإسلامي وسيلة للتعبير عن الفكر الإسلامي والمخزون العقائدي في النظرة إلى الكون بشكل عام. والعبودية لله. وقد دخل الفن الإسلامي في جميع نواحي الحياة.[1] لكنه أخذ حقه من التقدير والاهتمام بعد ظهور مدارس الفن الحديث ونظرياتها الجمالية، التي نادت بأن للفن التشكيلي مقوماته الخاصة وطريقته المستقلة في التعبير

1–ص21 أثر الجمالية الإسلامية في الفن الحديث. د.عفيف البهنسي– دارالكتاب العربي–دمشق–1998

غير المباشر إذ كان أهل الثقافة والفكر الغربي ينظرون إلى الفن الإسلامي على أنه يفتقر للمنظور أو البعد الثالث،وذلك لاعتقادهم بأن الفنان المسلم كان يعجز عن التصوير الواقعي.على حين أن كراهية التصوير وابتعاد الفنانين المسلمين عن تصوير الكائنات الحية – في المساجد والأماكن الدينية–كانت سبباً في إظهار عبقرية الفنان المسلم في الزخارف الهندسية والنباتية وفي الزخارف الكتابية.

الفن الإسلامي:

إن أول ما يتبادر إلى الذهن لدى سماع مصطلح الفن الإسلامي، هو فنون الرقش أو الأرابيسك (أرابيسك: نسبة إلى أن العرب هم أول من ابتكره)[2]، والزجاج المعشق والقاشاني التي تزين المساجد في أنحاء العالم الإسلامي.

انتشر الفكر الإسلامي مع الفتوحات الإسلامية في مختلف البلدان التي فتحها المسلمون، وأظهر الحكام المسلمون اهتماماً واضحاً بفنون البلاد التي فتحوها كبلاد الشام وفارس ومصر التي أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية، والتي كانت فنونها مزدهرة قبل دخول الإسلام إليها، وقد انتقى الفنان المسلم من هذه الفنون ما يناسبه وجمع ومزج ما يناسب أحكام الدين الإسلامي وابتعد عن المكروه منها(كرسوم الإنسان) فامتزجت تلك الفنون بالفكر الإسلامي وانصهرت في بوتقة واحدة لتأخذ كلها طابعاً واحداً.

قام الفن الإسلامي في عصر بني أمية، ونسب الطراز الأموي إليهم، ويعدُّ أول المدارس الفنية الإسلامية. وظهر الأثر الفني لبلاد الشام واضحاً ولاسيما أن مدينة دمشق كانت عاصمة الأمويين.

2– ص6 الفنون الإسلامية/د.سعاد ماهر محمد.أستاذة الآثار المصرية– الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة–1987

ثم جاءت الخلافة العباسية سنة 132هـ(750م) فَنُقِلَ مقر الحكم إلى العراق وأخذت السيادة في العالم الإسلامي اتجاهاً جديداً،فقام الطراز العباسي الذي غلبت عليه الأساليب الفنية الفارسية.وبلغ هذا الطراز أوج عظمته في مدينة سامرا في القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي).

ولما فتح الفاطميون مصر سنة 358هـ (969م) وجعلوها مقراً لخلافتهم قام على يدهم الطراز الفاطمي وازدهر هذا الطراز في مصر والشام بفضل استتباب الأمن واستقلال البلاد وما سادها من رخاء وتسامح ديني.

وكان حكم الدولة الأيوبية في مصر عصر انتقال من الطراز الفاطمي إلى الطراز المملوكي الذي ازدهر في مصر والشام فيما بين القرنين السابع والعاشر بعد الهجرة(13-16م) وهو الطراز الذي تدين له القاهرة بمعظم آثارها الإسلامية.

ولما قضى العثمانيون على دولة المماليك سنة 923هـ (1517م) فقدت البلاد استقلالها ورحل عنها كثير من الصناع المهرة. وأصبح العصر التركي في مصر عصر ركود فني.

استغرقت العملية ثلاثة قرون تقريباً حتى أصبح للفن الإسلامي خصوصيته وتميزه الفريد عن سائر الفنون الأخرى.

وقد كان قوام الفن الإسلامي الأشكال الهندسية المتشابكة والمتداخلة فيما بينها التي شكلت وحدة زخرفية رائعة.

كما رسم الفنان المسلم الأزهار والأشجار والأوراق، والطيور والحيوانات بعد أن حورها، ووضعها في وحدات زخرفية تتكرر بشكل جميل لا تمله العين.[3]

3- ص6 الفنون الإسلامية/د.سعاد ماهر محمد.أستاذة الآثار المصرية.-الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة-1987.

ودخل الفن الإسلامي في الصناعات والحرف كلّها، كزخارف القرآن الكريم وتـزيين المخطوطات بالرسوم التي سميت بالمنمنمات (وهي رسوم تمثيلية ترسم بريشة ناعمة وبألوان شفافة جميلة) أشهرها مخطوط كليلة ودمنة،ومخطوط الأغاني لأبـي الفـرج الأصفهاني في القرن الثالث عشر[4].

واهتم المسلمون بالخط العربي وذلك من أجل تدوين" القرآن الكريم" وكانـت أنـواع الخطوط العربية في فجر الإسلام تنسب إلى المدن الإسـلامية المختلفـة،مثل مكـة والمدينة والأنبار والحيرة والكوفة. وكان الخط المكي والخط المدني وهما من أوائـل أشكال الخط العربي، وتفنن الخطاطون في إبداع أشكاله حتى زادت على المئة واعتنى أهل الكوفة بتجويد الخط والإبداع في رسم حروفه وغلب عليها الصلابة والميل إلـى التضليع فأكسبها ذلك طابعاً هندسياً.

وانتشر الخط الكوفي في أنحاء العالم الإسلامي، واستخدم في كتابة المصاحف وعلـى قطع النقود، وفي العمائر وشواهد القبور وسائر الكتابات التذكارية.

أما أعمال التدوين العادية فقد استعملت فيها الخطوط اللينة أو المـدورة أو المرسـلة، لأنها أطوع وأكثر مرونة وأوفر للوقت.[5]

ومن الخطوط العربية المدورة خط النسخ والثلـث والرقعـة والريحـاني والـديواني والمغربي..

ووافق الخط العربي الزخرفة فحروفه أصلح من غيرها لهذا الغرض بما فيهـا مـن استقامة وانبساط وتقويس.

فالخطوط العمودية والأفقية في الأحرف العربية يسهل وصلها بالرسـوم الزخرفيـة الأخرى، فاستطاعت الزخارف النباتية أن تدخل فـي التزيينـات الكتابيـة وأعطـت

4– ص339 الفن الإسلامي/د.عفيف البهنسي–دار طلاس–دمشق1986

5- ص236 فنون الإسلام/ د.زكي محمد حسن–دار الرائد العربي–بيروت 1981

تزيينات تتصف بالاتزان والإبداع والجمال. وتميزت الزخارف الكتابية بتجددها الدائم وذلك بحسب ما هو مكتوب فيها.

كما أعطى المسلمون اهتماماً كبيراً لعمارة المساجد، وكانت المساجد في بداية الإسلام تتصف بالزهد والتقشف،ثم ما لبثت أن أصبحت المساجد تظهر مفهوم الفكر الإسلامي من خلال الزخارف اللامتناهية. وكان لاستقرار الإسلام في بداية العهد الأموي (661-750م) دوراً في ظهور الفن الإسلامي في بلاد الشام وانتشاره إلى بقية المناطق الإسلامية.

والمقصود بالرقش العربي، هو الرسم الذي يعتمد على أشكال هندسية أدّى الفرجار فيها دوراً كبيراً، فهي تشكيلات ثلاثية ورباعية وخماسية مع مضاعفاتها، وحورت هذه الأشكال حتى لم يعد لأنواع هذه التشكيلات حدود، وهكذا اكتشف الفنان المسلم عالماً جديداً من الأشكال الهندسية التي حملت في طياتها معاني صوفية.

فالفن الإسلامي لا يتمحور حول إظهار ذاتية الفنان كما في الفن الغربي الذي يعدُّ أن ذاتية الفنان هي المحور الأساسي، وفي ذلك يقول جاك مارتيان:

إن فن الشرق هو النقيض المباشر للنزعة الفردية الغربية. فالفنان الشرقي يخجل من التفكير في "أناه" أو تعمد إظهار ذاتيته في عمله"[6]

ولكن الفن الإسلامي على العكس ينتشر مع النبضات النجمية في الأشكال الزخرفية المتنوعة والمتكررة بجانب بعضها بعضاً في شكل لانهائي كالنجوم ذات الرؤوس الثمانية والنجوم الخماسية وغيرها من التشكيلات الهندسية التي اشتقت من الدائرة التي شكلت بنية متحركة غير ساكنة، ولا يمكن وصف العناصر الزخرفية كوحدات منفصلة

6- ص147 وحدة الفنون الإسلامية -د.غازي مكداشي-شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت1995.

عن بعضها. والناظر إلى الوحدات الهندسية المتكررة يشعر كأنه أمام خلايا شمسية، تستمد طاقة حركتها من "النور" والذي هو أيضاً من حيث اللفظ اسم من أسماء الله تعالى. وهذا النور المسمى بنور الله ينبعث من بيت" الله" (المسجد).

وهذه الحركة هي البرهان على وجود العمل الفني.[7]

أساليب الرقش العربي:

اعتمد الفنان المسلم أسلوبين أساسيين في الرقش العربي:

- الخيط العربي:

وهو عمل هندسي محض يقوم على تفريعات واشتقاقات للأشكال الهندسية الأولية كالمثلث والمربع. وقد اِسْتُخْرِجَ المثلث من الدائرة بعد تقسيم محيط الدائرة بالفرجار. كما رُسِمَتِ النجوم في الرقش على مقياس الدائرة واشتقاقا منها، انطلاقاً من الدائرة القدسية، التي ترمز إلى الكون كما ترمز إلى بيضة الحياة.

ومن تطابق نصفيّ الكون تتشكل النجمة السداسية من تشابك مثلثين متعارضين، تعبيراً عن تداخل السماء والأرض ورمزاً إلى الوجود الواحد.

كما استخدم المسلمون النجمة الثمانية المؤلفة من تداخل مربعين. فالمربع الأول يعبر عن القوى الطبيعية الأربعة: الهواء والماء والتراب والنار، والمربع الثاني يعبر عن الجهات الأربع: الشمال والجنوب والشرق والغرب. واستخدمت النجمة الثمانية في الرقش العربي والهندسي(الشكل1).

7– ص191 وحدة الفنون الإسلامية -د.غازي مكداشي- شركة المطبوعات للتوزيع والنشر– بيروت.1995

الشكل رقم (1) نموذج من الرقش الهندسي الإسلامي.

الشكل رقم (2) نموذج من الرقش اللين الإسلامي

• الرقش النباتي:

وهو على نوعين، الأول لين ولكنه مبني على أساس هندسي تحولت فيـــه الأشـــكال النباتية إلى وحدات زخرفية مجردة،والنوع الثاني يسمى الرمي وهو عمل تغلب عليه العفوية والاسترسال مستوحى من النباتات وعروقها، يستخدم في الفن الـــذي يعـــرف بـــ"العجمي" إذ نراه يزين جدران قاعات البيوت الدمشقية وسقوفها، في رسوم القاشاني والفسيفساء. (الشكل 2).

فالرقش العربي هو السعي وراء الجوهر الخالد، وقد كان الطريق الذي تصاعدت فيه الموهبة نحو تمجيد الله جل جلاله. قال ليوناردو دافنشي" إن حقيقة الأشياء هي الغذاء الأسمى للنفوس المرهفة"8.

وتميز فن الرقش العربي بملء السطح والفراغ بشكل محكم، واستعيض عن التحجيم في البعد الثالث بالخط والظل والخطوط المتشابكة اللا متناهية لتوهم المشاهد بعمق الخطوط. واحتل الرقش موقعاً بارزاً في تزيين المساجد في العالم الإسلامي.

الألوان في الفن الإسلامي:

استخدم الفنان المسلم معظم الألوان إلا أن هناك بعض الألوان التي كثر استخدامها أكثر من غيرها وهي الأصفر والأحمر والأزرق والأخضر والذهبي. كما استخدم عرب الأندلس مجموعات متلائمة من الألوان كمجموعة الأبيض والأسود، أو مجموعة الأزرق والأخضر والبني، أو مجموعة الأزرق والأحمر والذهبي، أو مجموعة الأصفر والأرجواني الأحمر والذهبي والأزرق المخضر.9

إن الفكر الإسلامي جعل الفن الإسلامي يحمل طابعاً موحداً في جميع العهود. ودخل الفن الإسلامي في نواحي الحياة كلها فلم يقتصر على المساجد فقط، وإنما امتد إلى الحياة العامة، كالتزينات الداخلية للبيوت وفي الأثاث، وزخارف الكتب والمخطوطات، كما دخل في المهن اليدوية والمنسوجات والنقوش النحاسية وغيرها من الحرف الأخرى..وكلها طبعت بطابع الفن الإسلامي.

الفسيفساء في الفن الإسلامي:

فن الفسيفساء من الفنون الجميلة التي أسهمت في تألق الفن الإسلامي، فقد زينت الفسيفساء الجدارية الملونة كثيراً من العمائر الإسلامية.

8– ص144 وحدة الفنون الإسلامية– د.غازي مكداشي-شركة المطبوعات للتوزيع والنشر– بيروت.1995

9- ص92 الألوان نظرياً وعملياً– إبراهيم دملخي–منشورات جامعة دمشق1993

• فسيفساء الجامع الأموي بدمشق:

وهي من أجمل ما صنع من لوحات الفسيفساء هي فسيفساء الجامع الأموي بدمشق، وتعد الزخارف الجدارية في الجامع الأموي من أهم الآثار الإسلامية التي أنتجها المسلمون في تاريخ الخلافة الأموية من الناحية الفنية.

وشغلت الفسيفساء في الجامع الأموي بدمشق مساحة كبيرة إذ غطت الفسيفساء معظم أجزاء الأروقة المطلة على صحن الجامع، وغطت بطون العقود وواجهاتها، والأقسام العليا من الباب الغربي(باب البريد)، كما غطت قبة (بيت المال) في وسط الصحن وواجهة الحرم المركزية.

وأضفت الفسيفساء في الجامع الأموي جواً من الفخامة والروعة من حيث تنوع الموضوعات، ومن حيث تعدد الألوان المستعملة في المكعبات الفسيفسائية ولاسيما اللون الذهبي (الشكل3).

الشكل رقم (3) فسيفساء من العصر الأموي–واجهة الحرم المركزية في الجامع الأموي بدمشق.

أما موضوعات هذه اللوحات الفسيفسائية فهي مستمدة من الطبيعة كالبيوت والأشجار المثمرة على أطراف النهر.. وخلت اللوحات الفسيفسائية من أية رسوم بشرية وذلك احتراماً للمفاهيم الإسلامية.

وأظهرت لوحات الفسيفساء براعة الفنان في توزيع الدرجات المتعددة للـــون الأزرق في ألوان النهر، مما أكسب النهر جمالاً و حركة بصرية توحي بأمواج النهر. ونـــشر الفنان قطع الفسيفساء الفضية فبدت وكأنها زبد الماء، أو انعكاس الضوء على ســـطح الماء.[10]

أما اللون الذهبي والذي طغى في خلفيات المناظر المرسومة فأعطى إحساساً بالاتساع في المساحة. وإحساساً بالعظمة والأبهة والفخامة، وأضـــفى صـــفة القداســـة علـــى الجداريات، كما أعطى إحساساً بالارتفاع عندما زين به السقف.

وأعطت الألوان العديدة المستخدمة إحساساً بمدى غنى الدولة الإسلامية، إذ قدم الفنان علاقات لونية جميلة من خلال تكوينات الأزهار والأشكال النباتية والمنـــازل والنهـــر الذي يمشي بين المنازل(الشكل 5).

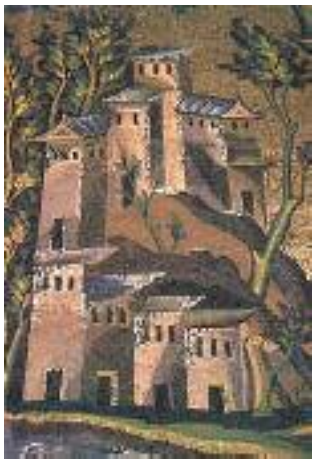

الشكل رقم (5) نموذج من فسيفساء الجامع الأموي بدمشق

1. 10 ص57 جداريات الجامع الأموي بدمشق.- إحسان عرسان الرباعي دراســـة تحليليـــة(إشـــراف ورئاسة غازي بيشة)–جامعة اليرموك 1996.

• فسيفساء قبة الصخرة:

تعدُّ فسيفساء قبة الصخرة مفخرة الفن الإسلامي في العصر الأموي، وقد غطت الفسيفساء الأقسام العلوية من الرواق الأوسط بطول 240 متراً مع رقبة القبة. ومساحة الفسيفساء 1200متر مربع. وكانت تغطي أقساماً خارجية(الشكل رقم6)

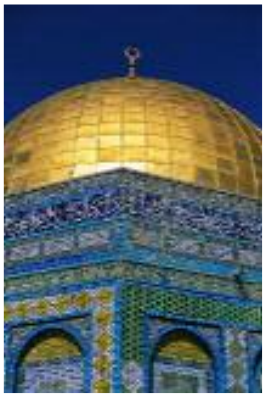

الشكل رقم (6) فسيفساء قبة الصخرة–القدس

وقد تلفت فأزيلت نهائياً في بداية العهد العثماني (1552) م واستعيض عنها بالقيشاني الذي مازال قائماً حتى الآن.[11]

وأغلب المواضيع الفسيفسائية ذات صيغ نباتية محورة، وأحياناً هي موضوعات واقعية تمثل النخيل وأغصان الزيتون وورقة الأكانت والكرمة وكيزان الصنوبر، وبعض الورود والفواكه كالرمان والعنب.[12]

إن روعة الفسيفساء في قبة الصخرة تتمثل في تنوعها حيث لا نرى صيغة زخرفية واحدة تتكرر في الزخارف كلّها، كما تتميز في وحدة الأسلوب الفني.

11- ص323 الفن الإسلامي -د.عفيف البهنسي –دمشق–دارطلاس–1986

12- ص324 الفن الإسلامي-د.عفيف البهنسي –دمشق–دارطلاس–1986

• **التصوير الجداري الإسلامي:**

وعلى الرغم من النظرة السائدة إلى الفن الإسلامي بوصفه فناً زخرفياً، فقد تم الكشف عن رسوم جدارية تصور بشراً وحيوانات بموضوعات مختلفة، كالتصاوير الجدارية التي غطت الأرضيات في قصر الحير الغربي الذي اكتشف عام 1930م في بادية الشام بسورية.. ويعود هذا القصر إلى زمن هشام بن عبد الملك بن مروان، وهو واحد من القصور الأموية التي بناها الأمويون في الصحراء، فكان الخلفاء الأمويين يرغبون في الاستراحة من عناء الحكم فيبنون لأنفسهم بيوتاً ريفية يطلقون عليها اسم بادية ويزينونها بزينة بديعة.

الشكل رقم (7) فريسك إسلامي من قصر الحير الغربي–المتحف الوطني بدمشق

ويظهر في إحدى هذه الصور الجدارية –التي نقلت إلى متحف دمشق–رسم يصور آلهة الأرض في وضع نصفي داخل دائرة،وتحيط بهذه الدائرة عناصر زخرفية إغريقية مثل أوراق العنب والحيوان الآدمي الذي عرف عند الإغريق باسم "السنتاور"(الشكل7).

كما نرى في صورة أخرى فارساً يطارد الحيوانات بسهامه ويرتدي ملابس ثمينة وحزاماً ذا أهداب طائرة يتدلى منه جراب السهام. (الشكل8)

الشكل رقم (8)فريسك إسلامي من قصر الحير الغربي–المتحف الوطني بدمشق

إضافة إلى الرسوم الجدارية التي وجدت في قصير عمرة وهو قصر صغير يقع على بعد نحو50 كيلو مترًا غرب الرأس الشمالي للبحر الميت. ويرجع بناؤه إلى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك سادس الخلفاء الأمويين، والذي حكم ما بين عامي 705 – 715م.

كانت جدران القصر مليئة بالرسوم الجدارية. وتضم الرسوم راقصين وموسيقيين وأشخاصاً عراة، وآخرين يقومون ببعض التمرينات البدنية، فضلاً عن مناظر لصيد الحيوانات البرية، ورسومًا رمزية لآلهة الشعر والفلسفة والنصر والتاريخ عند الأغريق، وأخرى لبعض مراحل العمر المختلفة: الفتوة والرجولة والكهولة، ورسماً لقبة السماء وبعض النجوم فضلاً عن البروج المختلفة، ورسوم طيور وحيوانات وزخارف نباتية.(الشكل 9).

الشكل رقم (9) تصوير جداري من قصير عمرة.

وأهم الرسوم الجدارية فيه هي رسم للخليفة على عرشه وحول رأسه هالة وتعلو رأسه مظلة محمولة على عمودين حلزونيين، وصف من الطيور الصغيرة. كما تظهر في الجدار أيضاً نساء شبه عاريات. ويحف به شخصان فضلاً عن الجدارية المشهورة (ملوك الأرض) والتي اعتمدها علماء الآثار في تأريخ قصير عمرة وتمثل الملوك الستة الذين هزمهم الأمويون[13].

أما في مدينة سامرا فقد وجدت صور مائية مرسومة على الجص تعود إلى العصر العباسي، وقد أسس هذه المدينة الخليفة العباسي المعتصم 223 هجري.

ومنها الرسوم الجدارية التي عثر عليها في قصر الجوسق بسامراء.. وكانت هذه الرسوم الجدارية تغطي الجزء الأعلى من جدران قاعة القصر،ومن أجملها ما وجد في جناح الحريم،وتضم هذه الرسوم صور راقصات وموسيقيات وصائدات وحيوانات وطيور(الشكل 10)

2. 13 ص20 التصوير في الإسلام عند الفرس. د.زكي محمد حسن– دار الرائد العربي 1981.

الشكل رقم (10) راقصتان من قصر الجوسق الخاقني بسامراء–العصر العباسي

فضلاً عن رسومات نباتية ملونة بالألوان:الأبيض والأزرق والأحمر والأصفر وتحدها خطوط باللون الأسود.[14]

وعثر في مصر أيضاً على رسوم جدارية ملونة تعود إلى العصر الفاطمي وذكر المقريزي وجود مدرسة للرسوم الحائطية الملونة الإسلامية ازدهرت في مصر في العصر الفاطمي، وذكر أن المصورين العراقيين تباروا مع المصريين في رسم تصاوير جدارية أظهروا فيها مهارة في التلاعب بتأثير الألوان ويؤيد وجود هذه المدرسة تصاوير جدارية عثر عليها في حمام بجهة أبي السعود بمصر القديمة، وقد وجدت هذه التصاوير الملونة في حنايا الجدران، وتتألف رسومها من زخارف نباتية وطيور. كما وجدت بها صور لشخص جالس يحمل كأساً وبقايا رسم لراقصة في حنية أخرى.[15](الشكل 11)

[14] ص37 الفن الإسلامي. د.عفيف البهنسي –دمشق–دارطلاس–1986

[15] ص129 فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية. / نعمت اسماعيل علام–القاهرة–دار المعارف 1974

الشكل رقم (11) صورة شاب بيده كأس–من لوحات الحمام الفاطمي بمصر

وهي عبارة عن رسوم مائية مرسومة على الملاط وهي تعود إلى القرن العاشر الميلادي أي الرابع هجري.

ونلاحظ أن الأمويين والعباسيين لم يتقيدوا بقواعد تحريم الرسوم الإنسانية في قصورهم وأماكنهم الخاصة، واقتصر ذلك على الأماكن الدينية فقط، وربما يعود ذلك إلى أن تحريم التصوير نشأ عن ضرورة تمكين الدين الإسلامي في نفوس الناس والخوف من الردة والعودة إلى تقديس التماثيل والصور وعبادتها.. أما وبعد أن انتشر الإسلام واستقرت دعائمه لم تقصد الرسوم جانباً من العبادة وإنما كانت تعبر عن مظاهر الحياة الاجتماعية بشكل عام.

والعالم الإسلامي غني بالشواهد الفنية التي تعكس مفاهيم الفكر الإسلامي،من بلاد الهند شرقاً إلى المغرب العربي غرباً.. وما زالت الأساليب القديمة في تزيين المساجد متبعة إلى اليوم.

خاتمة:

كان ظهور الفن الإسلامي نتيجة لانتشار الفكر الإسلامي، ومع توسع الفتوحات الإسلامية تأثر المسلمون بفنون البلدان التي فتحوها، فاستفادوا من تلك الفنون وأخذوا منها ما ناسبهم ودمجوه في حلة واحدة مشكلين بذلك الفن الإسلامي الذي نعرفه.

وإذا ما نظرنا إلى الواقع الذي يعيشه الفنان العربي في العصر الحالي، نجده وقد انصهر ضمن تيار الانفتاح العالمي ولم تعد له هوية واضحة، واهتم بالتقليد والاقتباس من الفن الغربي متناسياً إرثه الحضاري الغني، ولدى النظر إلى معظم الأعمال الفنية التي أنتجها فنانون عرب، فإننا نكاد لا نميزها عن الأعمال الغربية، وربما يعود ذلك إلى الانفتاح على الحضارة الغربية واعتبارها المثل الأعلى، مع العلم أن موروثنا من الحضارة الإسلامية متميز وغني،لذلك أصبح من الضروري أن يبحث الفنان عن الهوية العربية، التي يستطيع أن يتميز بها عن غيره من فناني العالم، كالاستفادة من مفردات الفن الإسلامي في صياغة فن جديد يجمع بين أصالة الماضي وتجدد الحاضر.

المراجع

1. أثر الجمالية الإسلامية في الفن الحديث– د.عفيف البهنسي –دارالكتاب العربي– دمشق–1998

2. الألوان نظرياً وعملياً– إبراهيم دملخي–منشورات جامعة دمشق 1993

3. التصوير في الإسلام عند الفرس. د.زكي محمد حسن–دار الرائد العربي 1981.

4. جداريات الجامع الأموي بدمشق.- إحسان عرسان الرباعي–دراسة تحليلية(إشراف ورئاسة غازي بيشة)–جامعة اليرموك 1996.

5. الفن الإسلامي. د.عفيف البهنسي –دمشق–دارطلاس–1986

6. فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية. / نعمت اسماعيل علام–القاهرة–دار المعارف 1974

7. وحدة الفنون الإسلامية– د.غازي مكداشي-شركة المطبوعات للتوزيع والنشر– بيروت.1995.

8. الفنون الإسلامية/د.سعاد ماهر محمد.أستاذة الآثار المصرية.–الهيئة المصرية العامة للكتاب–القاهرة–1987.

9. أثر الجمالية الإسلامية في الفن الحديث. د.عفيف البهنسي- دارالكتاب العربي– دمشق–1998.

10. فنون الإسلام/ د.زكي محمد حسن–دار الرائد العربي–بيروت 1981.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق: 2008/9/16.